الأحد: 2023/10/15

التوقيت: 14:50– 16:20/ **القاعة:** 17 في الكلية/ **الفوج:** 1 – 2

التوقيت: 16:30– 18:00/ **القاعة:** 17 في الكلية/ **الفوج:** 3 – 4

الدرس رقم 02: مفهوم تحليل الخطاب

عند زيليغ هاريس

زليج هاريس (Zellig Sabbettai Harris) ولد23 أكتوبر 1909 وتوفي 22 مايو 1992 كان عالمًا مؤثرًا لغويًا أمريكيًا، وصيغًا رياضيًا، وخبيرًا منهجيًا في العلوم، اشتهر بعمله في اللغويات الهيكلية وتحليل الخطاب واكتشاف البنية التحويلية في اللغة، تم نشر هذه التطورات من السنوات العشر الأولى من حياته المهنية، تشمل مساهماته في السنوات الـ 35 اللاحقة من حياته المهنية قواعد النقل، تحليل السلاسل (القواعد المتجاورة)، اختلافات الجملة الأولية (ومشابك التحلل)، الهياكل الجبرية في اللغة، قواعد المشغل، قواعد اللغة الفرعية، نظرية المعلومات اللغوية، وحساب مبدئي لطبيعة وأصل اللغة.

لقد شرح هاريس كيف أن مفهوم الخطاب فرض نفسه على اللسانيات انطلاقا من كون التحليل اللساني التقليدي قد يؤدي إلى قصور في فهم ليس النص فحسب بل حتى في فهم الجملة ومكوناتها نظرا لعلاقة الترابط القوية بين مكونات الخطاب، بما في ذلك المكوّنات الخارج، لقد كشف "هاريس" أيضا، ومن خلال منهجه القائم على التحليل بالسلسلة، عن تلك العناصر اللغوية والصوتية المشكّلة للحدث النطقي.

وكان موقفه واضح ضمن مقاله «تحليل الخطاب» سنة 1952 ويعد أولى المحاولات الصريحة التي تكلمت عن وحدة أكبر من الجملة. وسماها دون تمييز تارة النص (Texte) وتارة الخطاب (Discours) وتارة القول المتتابع (énoncé suivi).

لقد ((استخدم هاريس في هذه المقاربة التي تحدث فيها عن تحليل الخطاب بعض الآليات والميكانزمات استلهمها من اللّسانيات الوصفية بهدف الوصول إلى بنية النص وقصر فيه الدراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة، والفصل بين اللّغة والموقف الاجتماعي ومنه اعتمد منهجه في تحليل الخطاب على ركيزتين:

– العلاقات التوزيعية بين الجمل.

– الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي.

وبذا يمكن إرجاع الإرهاصات الأولى لتأسيس لسانيات الخطاب (قبل هاريس) مرتبطة باللسانيات التوزيعية التي كانت سائدة آنذاك في الولايات المتحدة الأمريكية في بداية الستينات، ومن أقطابها ليونارد بلومفيلد L. Bloomfield الذي كان ينظر إلى الجملة بوصفها وحدة ممكنة لا تخرج عن إطار المسند والمسند إليه، وعليه فإنّ مجال تحليل الخطاب عند ز. هاريس ومنطلقاته لا تبتعد عن تلك الأدوات الإجرائية والآليات والتصوّرات التّي كانت تحلّل بها الجملة، حيث تتمثّل هذه المنطلقات في مبدأين هما:

–توسيع حدود الوصف اللساني إلى ما هو خارج الجملة.

–دراسة العلائق الموجودة بين اللّغة والثقافة والمجتمع.

ومنه فإن الخطاب وفق تصوّر هاريس "ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجيّة التوزيعية وبشكل يجعلنا نظلّ في مجال لساني محض"، وبالإضافة إلى الاغتراف من المنهج التوزيعي، اعتمد هاريس في تحليله على سياق النصوص ونقل ما يتصل بتحليل الجملة تحليلاً بنيويا (التقطيع والتصنيف والتوزيع) إلى المستوى الجديد للنص وحاول بواسطة إجراءات شكلية أن يصل إلى توصيف بنيوي للنصوص. لقد توسّع هاريس في بعض الأفكار التّي تعود إلى سوسير الّذي رأى أنّ الجملة عبارة عن تتابع من الرموز، وأن كلّ رمز يسهم بشيء من المعنى الكلي، لهذا فكلّ رمز داخل الجملة يرتبط بما قبله وما بعده.

والحقيقة أن المقاربات التّي انبثقت من دراسات نحو الجملة قد "قدّمت تحليلات جزئية مهمّة لبعض الجوانب الخاصّة بالعلاقات بين أجزاء الجملة والمتواليات الجمليّة، وشروط الفصل والوصل، ومعاني الأساليب وأشكال السياقات والدلالات الخاصّة..." إلاّ في إشارات دقيقة في العلاقات الدلاليّة العميقة التّي تربط بين الجمل والمتواليات الجمليّة. ورأوا كذلك أن كثيرًا من الظّواهر التركيبية لم تفسّر في إطار نحو الجملة تفسيرا كافيا مقنعا، وأنه ربما تغيرت الحال إذا اتجه الوصف إلى الحكم على هذه الظواهر في إطار وحدة أكبر من الجملة، ويمكن أن تكون تلك الوحدة هي النص"

وهكذا انطلقت الأبحاث المتعلقة بعلم اللغة؛ بالتّصدي لدراسة النُّصوص والخطابات وتحليلها، قد كانت هذه المقاربات تسير سيرًا يخالف في بعض تمظهراته خطى اللسانيات الوصفية التقليديّة، كالتّخليّ على شرط الاعتماد على اللّغة المنطوقة دون المكتوبة بحجّة أنّ المنطوقة هي التّي تمثّل الطبيعة الجوهريّة للّغة، وكان من بين الرّواد الذين كان باع طويل في هذا التصوّر الجديد هاريس الّذي شكك بقدرة علم اللّسان على تجنب الكلام المكتوب في الدراسات المرتبطة بالمجال اللغوي باعتبار أن علم اللسان قد عُني أيضا بالجملة المنطوقة ولكنه تناسى وجود جملة طويلة، ولا متناهية، يعجز النحو (نحو الجملة) وحده عن استلهام قواعدها ما لم يعتمد على الكتابة التّي تفرض علينا دراسة النص)). ونقلا عن: **إشراف عبد القادر فيدوح في محاضرته: من نحو الجملة إلى نحو النص: إرهاصات البحث في اللسانيات النصيّة والخطابيّة في العصر الحديث.**

مما تقدم يمكن أن نلخص العناصر التي أوردها **إشراف عبد القادر فيدوح في محاضرته: من نحو الجملة إلى نحو النص: إرهاصات البحث في اللسانيات النصيّة والخطابيّة في العصر الحديث في** قول هاريس: "يمكن أن نتناول تحليل الخطاب انطلاقا من نوعين من القضايا، يتعلّق الأوّل بتوسيع اللّسانيات الوصفية إلى ما هو أكبر من الجملة، ويتعلّق الثّاني بالعلاقة بين «الثّقافة» واللّغة (أي بين السّلوك غير اللغوي والسّلوك اللّغوي)". من الواضح أن توسيع مجال اللسانيات الوصفية هو وفاء من هاريس لأستاذه بلومفيلد وهو وفاء يظهر في سياقات دفاعية كثيرة عن هذه اللسانيات الوصفية وقدرتها على تحليل ما هو أكبر من الجملة. ويؤكد هاريس بوضوح أن التحليل الذي تقوم به هذه اللسانيات الوصفية بإمكانه أن يمدنا بمعلومات عن بعض التعالقات بين اللغة والخارج ومرد ذلك إلى أن كل خطاب متتابع منتج في مقام معين. وعليه يبين لنا تصور هاريس قدرة اللسانيات الوصفية على دراسة القول من حيث هو قول مهما كان طوله وتدرس علاقته بالخارج.

> – الجديد في تعريف هاريس أن اللسانيات التقليدية ركزت دراستها على الجملة بوصفها نظاما، وليست تتابعا لأنها لا يمكن أن تختزل إلى مجموعة من الكلمات، في حين أن الملفوظ هو تتابع من الجملة فهو خطاب، فظهرت بذلك لسانيات الخطاب التي اعتبرت الجملة أصغر وحدة في الخطاب، أي أصبحت الجملة خطابا صغيرا في خطاب أكبر.

وتدعّم هذا التوجّه بمجموعة من الأفكار أهمها:

أن الخطاب

هو نظامٌ مجاوز للجملة: معنى ذلك أنّه ليس تتابعا لمجموعة من الكلمات، بل هناك بنى يخضع لها، تتجاوز بنى الجمل

وأنّه نمط من الأفعال: إذ هناك من يرى أن اللّغة هي أقوال تتحول إلى أفعال مختلفة باختلاف السّياقات الّتي ترد فيها. وقد تدعم هذا التوجّه بنظرية الأفعال الكلامية الّتي طوّرها أوستين وسيرل.

وأنّه تفاعلٌ: يتجلى في المحادثات الّتي يسعى فيها أصحابها إلى التّنسيق بين مختلف ملفوظاتهم أثناء تحاورهم. ويشمل هذا النّمط الخطابي كلّ ما يصدر عن المتكلم من خطاب، أحضر المستمع فيه أو لم يحضر، كالمحاضرات، والخطابات والسّياسة...

وأنّه لا يكون خطابا إلاّ إذا تبنّته هيأة تشكل محور المعالم الزّمانية، والمكانية والشخصية، وتشير إلى موقفها تجاه ما تقوله، أو أن تسند مسؤولية هذا الأخير إلى الغير. ومن بين ما يتضمنه هذا التوجّه، الدّراسات الّتي أجريت على العناصر الذاتية الكامنة في اللّغة.

كما أنّه يخضع لمجموعة من المعايير الاجتماعية والأخلاقية، تتكفل قوانين الخطاب بتبيانها، فالأفعال الكلامية كالأمر والوعد والنهي... لا يمكن لها أن تصدر دون الخضوع لمعايير حدّدتها الأخلاق والقيم الاجتماعية والثقافية والدينية.

وأخيرا، أنّه لا يؤول إلاّ بإدراجه في خطابات أخرى، فلكل نوع خطابي أسلوبه في التّكفل بتسيير مختلف العلاقات التّخاطبية. ذلك أنّ تأويل أي خطاب من أي نوع كان، يقتضي ربطه أو مقابلته بخطابات لأنواع خطابية أخرى.

تتأتّى هذه الأفكار من عامل أساس هو: أنَّ تحليل تواتر العناصر للخطاب لا تتم إلاّ من هذا النَخطاب نفسه وفيه؛ وهكذا نستطيع أن نحدّد العلاقات الخاصّة للمورفيمات كما تظهر فيه، وبذلك نكتشف شيئا من بنيته، ويمكن ألاّ نعرف تماما ماذا يقول الخطاب، ولكنَّنا نستطيع أن نحدّد كيف يقول، أي ما هي نماذج التَّواترات لأهمّ المورفيمات المشكِّلة لهذا الخطاب.

-يصبح الخطاب بمفهوم هاريس سلسلة متتالية من الجمل، أي يصبح هنا مرادفا للملفوظ، ويصبح هو موضوع اللسانيات بمعنى هدفها، تقوم بمعاينته عندما تحدد قوانينه وقواعده، أي تقوم بوصف سلسلة متتالية من الجمل، ولكن السؤال الذي يطرح؛ هل يمكن للسانيات أن تدرس الخطاب، نقول " ليس باستطاعتها فهي تجد نفسها ملزمة إلى العودة إلى علم النفس وعلم الاجتماع وتعليم اللغات، ودراسة الأدب لأن الخطاب يترتبط بالسياق الذي تحدده ثقافة المجتمع، فبانعدامه يصبح التلقي من الأمور المستحيلة، والخطاب لا يتحدد بجملة أو مجموعة من الجمل بغض النظر عن كونها مكتوبة أو شفوية داخل حيز ثقافي معين"[1].

معنى هذا أن الأمر يستلزم العودة إلى خارج الملفوظ (خارج-الخطاب) لكشفه.

- سعى هاريس إلى تطبيق تصوره التوزيعي على الخطاب، والذي من خلاله تصبح كل العناصر، أو متتالياتها لا يلتقي بعضها ببعض بشكل اعتباطي، وفي مختلف مواطن النص، إذ أن التوزيعات التي تلتقي من خلالها هذه العناصر تعبر عن انتظام معين يكشف عن بنية النص (هذا الانتظام يسميه التوازي).

- عندما نقول إن الخطاب جملة يعني حصره في زاوية ضيقة لا تتسع لدراسته، معنى هذا أننا نهمل عناصر الخطاب الأخرى.

- لم يهتم هاريس بالعلاقة الموجودة بين اللغة (الجمل المتتالية) والثقافة والمجتمع، باعتبارها قضايا خارج لسانية، بمعني أنه أهمل دراسة السياقات، وهذا هو المأزق.

لكن يبقى اللّساني الأمريكي ز. هاريس Z.Harris أوّل من وضع مصطلح "تحليل الخطاب"، وغايته في ذلك السّعي نحو صياغة مجموعة من الإجراءات الشّكلية من أجل تحليل الإنتاج الكلامي: المكتوب منه والمنطوق، وذلك انطلاقا من إجراءات المنهجية التّوزيعية".